المقاومة الثقافية في الأنشودة الثورية الجزائرية

أنشودة "من جبالنا" للعيد آل خليفة –نموذجا–

Cultural Resistance in the Algerian revolutionary anthem
Chant "from our mountains" for Eid Al Khalifa - a model -

د. أحلام بوزيان*

جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس (الجزائر)، abouziane@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2024-05-21 تاريخ القبول: 2024-11-04 تاريخ النشر:2024-12-19

مُلخّص البحث

نهدف الدراسة إلى محايثة موضوع المقاومة الثقافية في الأنشودة الجزائرية الثورية المؤداة إبان الحرب الجزائرية، إذ لعبت دورا محوريا في ترسيخ الأفكار التحريرية بأذهان متلقيها وحفزتهم على الإيمان بقضية الكفاح في سبيل الاستقلال، بل وأرخت لمسار الثورة الجزائرية منتشيه بشهدائها، معتزة بمجاهديها، حاملة راية الهوية على أكتافها. ما حثنا على البحث في أغوارها من خلال الإشكالية التالية: "كيف تجلت المقاومة الثقافية في الأنشودة الثورية الجزائرية؟" مرتكزين على نموذج يحاكي موضوعنا، ألا وهو نشيد "من جبالنا" للعيد آل خليفة.

كلمات مفتاحية: المقاومة الثقافية، الأنشودة الوطنية، الامبريالية، أدب الشهادة، الثورة الجزائرية.

Abstract:

The aim of the study is to discuss the theme of cultural resistance in the Algerian revolutionary chant performed during the Algerian war, as it played a pivotal role in consolidating editorial ideas in the minds of its recipients and motivated them to believe in the cause of the struggle for independence, and even followed the course of the Algerian revolution ecstatic with its martyrs, proud of its mujahideen, carrying the flag of identity on its shoulders. What prompted us to search its depths through the following problematic question: "How did the cultural resistance manifest itself in the Algerian revolutionary chant?""Based on models that mimic our theme.

Keywords: Cultural resistance, revolutionary anthem, Imperialism, Martydom literature, The Algerian revolution.

* المؤلف المرسل: **أحلام بوزيان**

1. مقدمة:

تناوئ الشعوب المحتلة السياسة السادية المفروضة عليها قسرا من لدن المستعمِرين بشتى الوسائل العسكرية والفكرية والثقافية والأدبية والسياسية، بغية تحقيق السيادة الوطنية والاستقلال الذاتي والمحافظة على مقومات الهوية الجمعية، ما دفعهم إلى استلهام روح المقاومة من القصائد الشعرية المنظومة في بوتقة النضال والحماسة بغية تأسيس الخطاب المضاد الراد على المؤسسة الاستيطانية المستبدة الغاشمة، فبرعوا في ترديدها على الجبال الشاهقات وفي المدارس القرآنية والجمعيات ولقنوها للصبية منهم والبنات، للصغار والكبار وبثوها في جميع الحيوات، مؤسسين لجنس أدبي وفني يسمى "الأنشودة الوطنية".

تعرضت الجزائر كغيرها من سكان شمال افريقيا والشرق الأوسط للحملة الامبريالية المشوهة لمعالمهما الحضارية والقومية، صرخ مثقفوها وشعراؤها الفصحاء في كل صرح عتيد منادين باستقلالها والذود عن حماها بالنفس والنفيس، فتهلهلت شتى المقاطع الإنشادية ترتل على ألسننا ونحن أطفال لم نلج بعد المدارس الابتدائية، وكان من بين ما حفضنا وأثر في وجداننا راسما خطوط المقاومة في سرائرنا، أنشودة "من جبالنا" للعيد آل خليفة، والتي ارتأينا أن تكون نموذجا لدراستنا، ومعينا لنا للإجابة على الاشكال الآتي، وهو: "تجليات المقاومة الثقافية في الأنشودة الثورية الجزائرية؟".

2. المقاومة الثقافية:

1,2 مفهوم المقاومة:

تنبثق المقاومة من الفعل الثلاثي: قاوم ومعناه الاعتدال والاستقامة والصلاح والبزوغ والثبات والتحرر من كل قيد وأغلال[1]، يقول تعالى في الآية الخامسة من سورة النساء: "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما"، والقوامة هي امتلاك الأمر والقيام به، فجاء مرادفا للعصمة والبأس، والجهاد وفك الرقاب وما إلى ذلك من أعمال بر[2]. إذ تسعى المقاومة للحفاظ على أساسيات الوجود الإنساني من خلال المحافظة مقوماته الشخصية [3]، إذ تعد حسب "هارون فرغلي" كفاحا مبيحا

لاستخدام "كافة الوسائل المادية وغير المادية بما فيها القوة المسلحة من قبل مجاعة أو شعب ما لمواجهة اعمال العدوان والهيمنة، ورغبات السيطرة على أرضه أو فكره أو ثقافة أو قراره السياسي وازالة الإحلال والاستعمار بكافة بصورة، ودفع الظلم المسند إلى القوة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية من أجل تحقيق الاستقلال الكامل سياسياً وثقافياً وعسكرياً وبما يتفق مع مبادئ الأمم المتحدة والمواثيق الدولية"[4]، فلا يقعد مكتوف الأيدي أمام الجور والطغيان والفساد، بل يعارضه ويناضل من أجل تبديده وتحقيق كيانه.

2,2. مفهوم الثقافة:

تعرف الثقافة على أنها "منظومة متكاملة تضم النتاج التراكمي لمجمل موجات الإبداع والابتكار التي تتناقلها أجيال الشعب الواحد وتشمل بذلك مجالات الإبداع والفنون والأدب والعقائد والاقتصاد والعلاقات الإنسانية، وترسم الهوية المادية والروحية للأمة لتحدد خصائصها وقيمها وصورتها الحضارية"[5]، فتشكل بدورها "مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان، فتكسبه أسباب الرقي، والتقدم والوعي عن طريق التهذيب العقلي والتربية النفسية والخلقية"[6]، فلا بد لها أن تحتفظ ببعدها الاجتماعي كي تمثل نقدا فاعلا ومؤثرا بوصفها محركا للحياة الإنسانية.

3,2. المقاومة الثقافية:

التصق الأدب بالثورات المسلحة والحركات النضالية، فلفها وعبر عنها وحمس المتلقين للانضمام إليها، فالأدب "هو في ذاته نشاط إنساني يقاوم عوامل الضعف والخور التي تلم بالنفس البشرية في لحظات الانكسار، فليس هناك عمل أدبي جاء في القديم أو في الحديث يمكنه أن يخلوا من هذه السمة البارزة، وهي المقاومة"[7]، فأصبح الأدب يدا جسيمة تعينها على قيض السلطات الجائرة المحكمة قبضتها على حدودها، فما من ثورة عرفها التاريخ إلا كان الأدب الممهد لها بتلاحم أجناسه المختلفة، من رواية، خطبة، قصيدة، وأنشودة، فكان المسجل لمسيرها والمواكب لخطواتها والحاث لكفاحها[8]، وقد شبه "عبد الله الركيبي" المقاوم الثقافي (منتج النص المقاوم) مكانة جليلة وأسماه ب"المثقف الثوري"[9]، لأنه الحلقة المركزية المشجعة على النهوض والذود على الحما الوطنية بعد السعي الحثيث

للسلطات الاستعمارية على محو "معالم الثقافة القومية، واحلال ثقافة أجنبية محلها، بغية عزل الشعب الجزائري عن تراثه الثقافي العربي والإسلامي، ليسهل دمجه والحاقه بالشعب الفرنسي"[10] وضمان سكوته وتبعيته دون القيام بردود فعل تخل بالنظام الامبريالي وتحد من توسعه وتقلل من مركزيته وهيمنته على الدول التي يسعى لإخضاعها واذلالها واستعبادها واستغلال ثرواتها، كما فعل في الجزائر، منتهكا استقلالها وقداسة معابدها وقمع دينها وشوه صمعتها برسم صور سلبية عن أهلها كتبرير لمجازره الشنعاء المرتكبة في حق الأبرياء والعزل والمنادين بحق الحرية.

3. الأنشودة:

1,3. مفهوم الأنشودة:

جاء ذكر مفردها "نشيد" في معجم "لسان العرب" على أنه رفع الصوت، ونشد الشعر تلاه بجهورة، ونشدتُ ضالتي إذا سألتُ عنها وسعيتُ إليها[11]، وتعني الأنشودة في مضمارها الفني كل مقطوعية شعرية منظومة، ملحنة ومغناة فرادى أو جماعات[12]، تتميز بوحدة الإيقاع وروح الجماعة وتكرار اللازمة عند انتهاء كل مقطع، تحوي كلمات سهلة ومستساغة للحفظ، تحمل معانٍ ومغازي كثيرة، تسعى من خلالها إلى تنمية الروح الوطنية وغرس القيم الأخلاقية، وغالبا ما تنظم من أجل الفتية والناشئة بغية تعديل سلوكهم وتقوية ايمانهم بالقضايا الإنسانية والقومية وتحسيسهم بالوعي والمسؤولية[13].

2,3. أنواع الأنشودة:

3,2,3. الأنشودة الطفلية:

تعد لونا من ألوان الأدب الشائعة المحببة للأطفال، والتي يسهل تلحينها وتلقينها لهم بشكل جماعي يغريهم بالإقبال عليها ويزيد من ممارستهم لها شغفا وألفة، ذلك أن الطفل يشارك زملاءه في إلقاء النشيد وفي ترديد الصوت الجماعي القوي[14]، إنها "قطع شعرية تتميز بالسهولة وتصلح الإلقاء الجماعي، ويقبل الأطفال على حفظها وترديدها"[15] نظير تأثيرها في مدركاتهم الحسية وتمتعها بمنظومة

شعرية صدوية، من شأنها تهذيب الوجدان وترقية الإحساس وتدريب الأصوات وتنمية القدرات بصفتها صورة تعبيرية وفنية بليغة التأثير[16].

2,2,3. الأنشودة الثورية:

تؤدى غالبا في المناسبات الوطنية أو القومية أو الدينية أو التعليمية بغية تنمية البواعث الحماسية للمتلقي وتحفيزه على المضي قدما بثبات وروية، فتلصق الثورة بناظميها ومؤديها، لترفل في سهول الوطن وجباله ومغاراته وكهوفه، "خافقة، زاحفة، متموجة حيث اختلط الشعر بالدم ورائحة البارود، إذ لا يكتفي الشاعر بالتحويم العائم على الجبال"[17]، أو بتلك الصور الملتقطة من اقصى التلال، بل يتتبع أسماء رموز النضال، ويلون خارطة المقاومة بألوان دموية بارزة لا بالضلال، ويستوحي من ريشته معارك وحروب الأبطال، مبتكرا جنسا أدبيا فنيا مناسباتي يواكب النزعة الإنسانية والوعي الجمعي المتقد من مهجة مبدعه بعد أن لعب شعراء بداية الاحتلال حتى فجر الاستقلال –بشكل ملحوظ– بدور المؤرخين، بعد ارتباط خطابهم بالسياق التاريخي الموجه للأجيال اللاحقة[18].

3,2,3 الأنشودة الدينية:

عبارة عن مقطوعة شعرية مغناة، تلتزم بمعايير دينية وأخلاقية هادفة تسموا بالروح البشرية إلى فضاء الخالق، وغالبا ما تتناول في مواضيعها عرضا لقصص الأنبياء والصالحين والسير النبوية والغزوات المشتعلة في سبيل نشر العقيدة، وقد عرفت الكثير من الأناشيد الإسلامية عزوفا عن الآلات الموسيقية واكتفت بعضها بضرب الدفوف، بينما تنازلت أغلبها عنه مكتفية بذاتها، ايمانا منها بحس المنشد المجرد من كل بهرجة أو زخرفة، متخذة من تيماتها سبيلا لنشر التعاليم المقدسة عبر مدائحها ومغناها المؤنس، ما دفع "عزيز درماون" إلى اسقاط كلمة النشيد على معنى الدعوة إلى الحق في شكل شعري فردي أو جماعي يثني على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ويوصل أخباره مع قومه، ويذكر المتلقين بأخلاقه وصفاته ويوصهم بطاعة الله ونيل رضوانه[19].

4,2,3. الأنشودة الملتزمة:

تتغنى بمواضيع هادفة وتلتزم بقضايا أمتها، فتوصي ببر الوالدين وبصلاح الأسرة والمجتمع من خلال التربية الحسنة والأخلاق المثلى دون التعرض للآخر وقمعه، حتى غزلها يكون عفيفا طاهرا، فهي تحمل في طياتها رسالة هادفة يتجاوز مغناها غاية الضوضاء والمرح إلى الذاكرة الجمعية وسلطة العقل الواعي[20].

4,3. أهداف الأنشودة[21]:

- الحفاظ على الجنس الشعري وتنميته.
- التدرب على الحفظ والأداء وتقوية الحس الفني.
- تقوية الروابط الاجتماعية وتحقيق الألفة من خلال الكورال الغنائي.
- الحفاظ على الموروث الثقافي والقومي والأدبي وتناقله عبر الأجيال.
- تطهير النفس وتعويدها على الممارسات المفيدة وابعادها عما قبح من الأفعال.
- تحفيز الاستجابة المشروطة ومراعاة الحس المرهف وزرع الوعي.
- اكتساب الصفات المثلى والمثل العليا.
- الحفاظ على المقومات اللغوية وجودة السبك والنطق والأداء.
- الرقي بالقيم الاجتماعية والجمالية والانفعالية إلى مصاف الوعي الجمعي.
- محاربة الآفات الاجتماعية من خلال التكوين النفسي السليم للمنشد.

4.المقاومة الثقافية في الأنشودة الثورية الجزائرية:

1,4 بيبليوغرافيا الشاعر "محمد العيد آل خليفة":

ولد في شهر أوت من سنة م1904 بمدينة "عين البيضاء" بأم البواقي وسط عائلة دينية محافظة تنحدر أصولها من بلدة "كوينني" من مدينة "واد سوف"، تلقى تعليمه الأول على يد الشيخني حمد الكامل "ابن عزوز "و "أمحد بن ناجي". ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة "بسكرة" ليكمل بها حفظ القرآن الكريم، فرافق دروس الشيخ "علي بن إبراهيم العقيب" والجندي أمحد بن المكي" وغريهم من العلماء إلى غاية سنة 1921م، حيث رحل إلى تونس منتسبا لجامع الزيتونة.

عاد إلى "بسكرة" بعد سنتين مكملا مشواره العلمي على يد علمائها، ثم .توجه سنة 1927إلى العاصمة حيث عمل بمدرسة الشبيبة الإسلامية وأدارها، وكان عضوا في جمعية العلماء المسلمين.

أثناء الحرب العالمية الثانية عاد إلى "بسكرة" من جديد ليقتحم بعالم التدريس، وانتقل على اثرها إلى "باتنة" و"عين مليلة" وغيرها من المدن الشرقية.

ألقي عليه القبض بعد قيام الثورة التحريرية وأغلق المدرسة التي كان يزاول بها تعليمه، ثم افرج عنه وظل تحت الإقامة الجبرية بمدينة "بسكرة" إلى أن تحقق حلم الاستقلال. فلزم بيته متعبدا متنقلا بين "بسكرة" و"باتنة" إلى أن وافته المنية على أراضيها في 07 رمضان1399 هـ الموافق لـ 31 جويلية1979م، ونقل جثمانه إلى بسكرة حيث دفن بمقربة "العزيلات" بعد يومين من وفاته[22].

2,4. تحليل قصيدة "من جبالنا" لـ "العيد آل خليفة":

1,2,4. نص القصيدة:

مِنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَادِينَا لِلْاِسْتِقْلَال
يُنَادِينَا لِلْاِسْتِقْلَالْ ..... لاستقلال وَطَنِنَا
تَضْحِيَتُنَا لِلْوَطَنْ ..... خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةْ
أُضَحِّي بِحَيَاتِي ..... وَبِمَالِي عَلَيْكِ
يَا بِلَادِي، يَا بِلَادِي ..... أَنَا لَا أَهْوَى سِوَاكْ
قَدْ سَلَا الدُّنْيَا فُؤَادِي ..... وَتَفَانَى فِي هَوَاكْ
كُلُّ شَيْءٍ فِيكِ يَنْمُو ..... حُبُّهُ مِثْلَ النَّبَاتْ

يـا تُـــــــــــــرَى يَأْتِيكِ يَوْمٌ ..... تَزْدَهِي فِيهِ الْحَيَـاة
مِـــــنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَادِينَا لِلْإِسْتِقْـلَالْ
يُنَادِينَا لِـــــــــــلْإِسْتِقْـلَالْ ..... لاستقـــــلال وَطَنِنَـا .
نَحْنُ بِـــــــــــالْأَنْفُسِ نَفْدِي ..... كُـلَّ جُزْءٍ مِنْ ثَرَاكْ
إِنَّنَا أَشْبَالُ أُسْـــــــــــــــــدٍ ..... فَاصْرِفِينَا لِعِـدَاكْ
لَـــــــــكِ فِي التَّارِيخِ رُكْنٌ ..... مُشْرِقٌ فَوْقَ السِّمَـاكْ
لَـــــــــكِ فِي الْمَنْظَرِ حُسْنٌ ..... ظَـــلَّ يُغْرِي بِبَهَـاكْ
مِـــــنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَادِينَا لِلْإِسْتِقْـلَالْ
يُنَادِينَا لِـــــــــــلْإِسْتِقْـلَالْ ..... لاستقـــــلال وَطَنِنَـا .
أيـــــــــــــها الشُّبَّانُ قُومُوا ..... بِأَعْمَالٍ صَالِحَاتْ
وَابْذُلُوا النَّفْسَ النَّفِيسَ ..... لِمُعْجِزَةِ الْحَيَاةْ
نَحْنُ سُـــــــــــورٌ بِكِ دَائِرْ ..... وَجِبَـالٌ رَاسِيَـاتْ
نَحْنُ أَبْنَـاءُ الْجَزَائِرْ ..... أَهْـــــلُ عَـزْمٍ وَثَبَـاتْ
مِـــــنْ جِبَالِنَا طَلَعَ صَوْتُ الْأَحْرَارْ ..... يُنَادِينَا لِلْإِسْتِقْـلَالْ
يُنَادِينَا لِـــــــــــلْإِسْتِقْـلَالْ ..... لاستقـــــلال وَطَنِنَـا .

2,2,4. تاريخها:

نظمت القصيدة سنة 1931م من لدن الشاعر "محمد العيد آل خليفة" إلا مطلعها كان لرئيس الكشافة الإسلامية التابعة لولاية سطيف، "حسن بن كراد"[23]. إذ يرجح أن يكون سبب نضمها هو الرد على الاحتفالات الفرنسية باحتلال الجزائر بعد مرور قرن من الاستعمار، والتي أقيمت سنة 1930م واستمرت لستة أشهر متتالية (من الفاتح يناير إلى الخامس من شهر جويلية)، كما عمدت فرنسا إلى استعراض فرق جيشها الذي شابه زيه جيشها الذي احتل الجزائر عام 1830م،

من خلال الملابس، الأسلحة، التنظيم، الأناشيد ووسائل النقل التقليدية، ما ألهب دواخل الروح الجزائرية المنتهكة، خاصة بعد حضور كبرى الدول الامبريالية كبريطانيا، بلجيكا، سويسرا[24]

قام "محمد الهادي شريف" المدعو "جنادي" بتلحين القصيدة سنة 1942م بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الثانية وما أحرزه الجيش الجزائري/الفرنسي من نجاح على أرض الوغى، فجمعت الكشافة الوطنية الجزائرية برئاسة المخيم الفيدرياليي[25] خيرة شبابها بقامات وطنية فاعلة وذات تأثري كبري فكريا وسياسيا على الجزائريين، أمثال: "مصالي الحاج"، "فرحات عباس"، "البشير الابراهيمي"، على غرار دعوة شخصيات فرنسية بارزة، كوزير التربية الوطنية Capitant كابيتان، والمحافظ العام للكشافة الفرنسية Catelin كاتلان، وحاكمي محافظة وهران وتلمسان[26]. وخلال الاحتفالات تم الإعلان لأول مرة على الأنشودة في شهر جويلية من عام 1944م.

5 . الخصائص المميزة لأنشودة "من جبالنا":

1,5. الخاصية اللسانية:

1,1,5. الإحالة:

هي "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات"[27]، إذ يتوقف تفسير الأول على الثاني ويشير إليه، وقد أجملها النقاد في "الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة"[28]، وهي قسمان:

-إحالـــة خارجيـــة:

وهـــي "ذلـــك النـــوع الذي يوجـه المخاطـب إلى شـيء أو شـخص في العـالم الخـارجي، حيـث تسـهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة لسياق[29]، كصوت الأحرار المندلع صداه بين الجبال الشامخات الراسيات.

-إحالة داخلية:

ترتكـز علـى العلاقـات اللغويـة في الـنص ذاتـه وقـد تكـون بـين ضـمير وكلمـة أو بين كلمة وكلمة أو عبارة وكلمة[30]، وتنقسم إلى إحالة داخليـة قبليـة توجـه القـارئ أو المسـتمع إلى الرجوع إلى الجمل والخطابات السابقة، حتى يتسنى له الفهم، وإحالـة داخليـة بعديـة تعـود علـى عنصـر إشـاري مذكور بعدها في النص[31]، وهو ما لمسناه في ضمير الرفع المتصل "نا" العائد على الشعب في: وطننا، ينادينا، تضحيتنا. على غرار "كاف المخاطب" العائدة على الجزائر: سواك، هواك،

تراك، بهاك، وضمير النصب المتصل في أهوى، وضمير الجر المتصل "عليك" الراجع على البلاد. مما أسهم في تماسك النص وائتلافه وانسجامه وتوطد أنساقه وتنمية الرغبة في التحرير بعد أن عاش المتلقي نفس الألم والحالة الشعورية لمنتج النص.

2,1,5. الأفعال الكلامية:

اهتمت نظرية الأفعال الكلامية "بدراسة اللغة الطبيعية في جانبها الفعلي، والذي لا يعني إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه"[32]، فقد جسدت موقفا مضادا للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي الذين أبوا على تحليل معنى الجملة المجردة من سياق خطابها اللغوي المؤسساتي[33]، فاللغة ليست وسيلة تواصلية فقط، بل هي وسيلة للتأثير في الواقع وتغيره من خلال تباين السلوكيات والمواقف[34]، فالوظيفة التركيبية للغة لا تصف وقائع العالم بصدق ولا بكذب مما يخضعها لمعيار الكلام القابل للمغالطة والثبوت[35]. تجسدت الأفعال الحكمية في قصيدة "بلادي" في:

–أفعال تعبيرية مثل: أهوى، ينمو، يغري، تزدهي...

–أفعال تقريرية تحريضية: يناديا، قوموا، ابذلوا، اصرفينا...

–أفعال تنفيذية: سلا، نفدي، أضحي، يأتيك..

وقد خدمت الفكر التحرري من الاستعمار المستبد الغاشم ودعمت فكرة المقاومة في سبيل بلوغ شط الحرية والنجاح من وابل الضيم والأحزان.

3,1,5. التكرار:

يعرفه "ابن الأثير" على ورود "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"[36] بمعنى "إعادة اللفظ الواحد لعدد أو لنوع، أو المعنى الواحد لعدد أو لنوع في القول مرتين فصاعدا"، فيسترجع المعنى بعينه على منوال لغوي آخر أو يثيب النسق مركبا كما ذكر سالفا، وهو ضروب:

-تكرار في المعنى دون لفظ، كتكرار حروف المباني في اللازمة، مثل ورود حرف النون: جبالنا، وطننا، بلادنا... مفجرا بواسطته المكبوتات الشعورية الباطنية للشعب المضطهد، منبثقا من صميم المأساة، جاهرا وكاسرا حجاب الصمت والذل والرضوخ والهوان. وتكرار حرف التاء: الممات، الحياة، راسيات، ثبات، نبات... متجاوزا الواقع وجوره، متطلعا إلى ما وراءه من نعيم وهناء.

-تكرار العبارة في لازمة "من جبالنا"، مرسخا فكرة المقاومة، ومبلغا بضرورة استرجاع الكرامة، موجها الخطاب في صيغة المفرد/الجمع المتكلم بغية اقناع المتلقي وافهامه بضرورة مجابهة الرق والاستعباد.

- تكرار المعاني والألفاظ في قوله: "من جبالنا طلع صوت الأحرار .... يناديا للاستقلال/ يناديا للاستقلال .... لاستقلال وطننا"، أعاد لفظة: ينادي واستقلال كي يجلب انتباه الجمهور إلى ضرورة الاتحاد في سبيل نيل الحرية عن طريق النداء المجهور الممدود في أرجاء المكان، ناطقا بصوت الحق ولسان الشهادة وروح الجماعة (نحن). كما استرجع لحن الحياة ثلاث مرات، إحساسا منه بمرها وظلمها وعدم قدرته على مجابهة قيضها بل وادراكها مادام مكبلا بقيود الاستعمار، قارنا إياها بنسيم الاستقلال.

2,5. الخاصية الدلالية:

1,2,5. الإشادة بالكفاح المسلح (الثورة):

ألهمت المقاومة المسلحة العالم بأسره بعد أن كانت " بمثابة الشرارة التي أيقظت لهيب البراكين الخامدة في أعماق ووجدان الشعراء العرب الذين راحوا يؤلفون القصائد ويتغنون بتضحيات الشهداء والثوار. فتبقى دائماً تتغنى بها الأجيال اللاحقة. وقد عرفت الثورة الجزائرية الكثير من الشعراء، الذين جادت قرائحهم فراحوا يكتبون الشعر العمودي والحر معبرين عن قوتها ونضال شعبها وأكثر من ذلك اتخذوا منها رمزاً للكفاح والوحدة والانتفاضة"[37]، والعيد آل خليفة واحد ممن دعوا إلى ضرورة رفع الظلم ومجابهة المحتل بشتى الوسائل، مسبلا النفس والنفيس في سبيل ذلك، كما جاء في نصه: "إننا أشبال أسد، فاصرفينا لعداك"، "أضحي بحياتي وبمالي عليك".

2,2,5. الإشادة بالشهادة:

تفجرت شاعريته بالذود عن حما البلاد وروابيها بعد أن لمس الاستعمار يتغنى بجرائمه الشنعاء المرتكبة في حق أهاليها، ونظره يرقص على دماء ورفات ومقابر الأحبة والشهداء، فنهض من شرخ

الصمت وصدح يقول: "تضحيتنا للوطن ... خير من الحياة / أضحي بحياتي ... وبمالي عليك"، ويقول أيضا: نحن بالأنفس نفدي ... كل جزء من ثراك / إننا أشبال أسدٍ ... فاصرفينا لعداك"، فقرع طبول الحرب وشدد الوثاق على الأهل وناجز العدا بكل ما يملك في سبيل استرجاع الحياة، تلك التي فقد الشعب طعمها قبل أزيد من قرن على الاحتلال الفرنسي.

3,2,5. الإشادة بحب الوطن:

تفتق حبه الوضاء للجزائر في قوله الصريح: "يا بلادي يا بلادي أنا لا أهوى سواك ... قد سلا الدنيا فؤادي وتفانى في هواك"، مبرزا شغفه وهيامه بقدسية التراب الذي تخلق منه وعاش فيه وسيرد إليه، منتصرا بشجاعته في تبيان مشاعره وهتافه بها، مولدا طاقة استجابة نوعية عجت في أرجاء الوطن، واستمالت إليها القلوب المرهفة والعقول اللبيبة والسواعد الثابتة، ورتل الجميع نشيد "بلادي" على أرض السلام والوئام والأمل.

4,2,5. الإشادة بالاستقلال:

غرد في مطلع كل مقطع بلحن الحرية، وكأنه يقول: "أوليس الاستقلال بقريب؟ إنه قادم لا محالة، اليوم أو غد، فترقبوا أيها الغزاة" تمثيلا لما جاء في هتافه: "من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال ... ينادينا للاستقلال لاستقلال وطننا"، معدا من شعره سلاحا صارخا في وجه الاستعمار، مستنهضا روح المقاومة عند بني جلدته، فالمقاومة عنده مبدأ حياتي متجذر في دواخله، يأبى أن يحيا راضخا مستعبدا، فتفجر نضالا وأملا.

6. خاتمة:

جسدت قصيدة "بلادي" مفهوم الانتماء والالتزام بقضية تحرير الوطن والذود عن حماه، فصارت شعلة متقدة بنفوس متلقيها من الفتية والشباب، وصدحت على سفوح الجبال وعلى أسقف البيوت والرمال تنادي باسترجاع الأرض والغلال.

ساهم المخيم الفيدرالي الكشفي التلمساني في نشر القصيدة وتحويلها إلى أنشودة وطنية سمع وقعها بعد ثلاثة وعشرين عاما على تأليفها، فانتشرت وذاع صيتها وتحولت إلى شعار للاستقلال.

أعجزت أنشودة "من جبالنا" القوات الاستعمارية، وهزمتهم بروحها الثورية والوطنية، مقاومة سيول المد الاستطاني الطامس لمعالم الهوية الجزائرية.

تحققت المقاومة الثقافية من خلال تلاحم فلكلوري واتحاد ملحمي جمع بين الشعر والانشاد والنشاط الكشفي والثوري وما سبقه من حوار سياسي ينادي بحق الشعوب في تقرير مصيرها، فتجلت قصيدة "بلادي" ترفرف على الجبال والسهول والصحاري والهضاب والحقول، حاثة الشباب على تفجير الطاقات واسترجاع الوطن الضائع بين رماد المرتزقة وشرذمة المعمرين.

تحول النشيد الجزائري إلى أدب مقاوم، يناضل مجاهرا بوحدة الشعب والوطن، بالثقافة القومية وأصالة الهوية، حافلا بالسيادة والاستقلال والحرية.

6. الهوامش:

[1] ينظر، معجم الوسيط، مادة قاوم، مكتبة الشروق الدولية، ط04، مصر: 2004، ص793.

[2] ينظر، الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد، تفسير البغوي: معالم التنزيل، دار طيبة، ج2، دط، المملكة العربية السعودية، 1989: ص165.

[3] عزت قرني، أصوليات المقاومة الشاملة وإطار بناء الحضارة الجديدة، مجلة ثقافة المقاومة، دط، جامعة فيلاديفيا، عمان، الأردن: 2006، ص 93.

[4].هارون فرغلي، لعبة خلط الأورق، مقاومة الإرهاب أم إرهاب المقاومة، دار الوافي للنشر والتوزيع، دط، مصر: 2008، ص51.

[5] أبو خلدون ساطع الحصري، آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان. ط01 1985، ص 133

[6] خضر أحمد عطاء الله، دراسات في أفاق الفكر الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع، دط، دبي: 1990. ص12.

[7] عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، ط01، بيروت، لبنان. 1991: ص26.

[8]. ينظر، صالح الدين عامر، المقاومة الشعبية المسلحة في القانون الدولي العام، دار الفكر العريب، دط، القاهرة: د.ت، ص74.

[9] عبد الله ركيبي، أحاديث في الأدب والثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، الجزائر: 2009، ص 119.

[10] التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945م، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر: 1985. ص97.

[11] ينظر، اين منظور، لسان العرب، ص 1284

[12] ينظر، مجدالين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، مج01، ط08، القاهرة، مصر: 1990، ص947.

[13] ينظر، ألطاف ياسين خضرة علي، توظيف الأناشيد في رياض الأطفال لمواجهة الارهاب الاجتماعي، مجلة الآداب للدراسات النفسية والتربوية، ع12، يونيو 2020، ص08.

[14] ينظر، حسن شحاتة، زينب نجارة، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، دار المصرية اللبنانية، دط، القاهرة، مصر:2003، ص43

[15] سمارة هكوف، الأناشيد المتضمنة في كتاب "لغتنا العربية " للصفوف ثالثة الأولى: مجالاتها ومستوى تنفيذها من معلمات المرحلة الأساسية الدنيا في مدرية تربية لواء الرصفية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج 28، 2014، ص872.

[16] ينظر، عبد الفتاح حسن البجة، أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها، دار الكتاب الجمعي، ط02، عمان، الأردن: 2012، ص ص317، 318.

[17] صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر: 1984، ص 234

[18] ينظر، عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري (دراسات حول خطاب المرويات الشفوية الأداء – الشكل – الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، بن عكنون – الجزائر: 1998، ص 22.

[19] نقلا عن: باسو بالاوجا، حفيظ أوزوين، إسماعيل أحمد، راسانا راسانا، فن النشيد الإسلامي في تصور الحديث النبوي، مجلة أدبيات، ع21، الجامعة الإسلامية إندونيسيا: 2021/12/2. ص ص 304، 305.

[20] ينظر، محمد سعيد الريحاني، من مفهوم الأغنية الملتزمة إلى مفهوم الأغنية المتزنة، جريدة العرب الثقافي، دع، قطر: 2007/2/22. ص07.

[21] ينظر، حسن شحاتة، أدب الطفل العربي (دراسات وبحوث)، دار المصرية اللبنانية، ط2، القاهرة، مصر: 2000، ص217

[22] ينظر، اهلادي درواز، بوزيان قويدر، 2005، ص131

[23] ينظر، محمد بن سمينة، ص 131.

[24] ينظر، أبو القاسم سعد الله، 1992. ج02، ص 307.

[25] المخيم الفيدرالي: كان يسمى بالحجل الصغير، وهو أول مخيم كشفي على المستوى الوطني، تم على غاية الصنوبر بجبال "لالا ستي" بولاية تلمسان، في الفترة الممتدة من 23 إلى 30 جويلية من سنة 1944م، بقيادة فوج "المنصورة". ولم يكن اختيار تلمسان اعتباطا بل نتيجة النشاط الكشفي المكثف والمنظم الذي شهدته خلال مسيرتها الفنية والتربوية.

voir. Abd elouahab Baghl. 2000. P91.

[26] Voir. l'Echo d'Oran , 1944

[27] جون بول وجول براون، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، دار النشر العلمي المطبعي، دط، المملكة العربية السعودية، 1997. ص76.

[28] محمد الخطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان: 1991. ص17.

[29] عبد الحميد بوترعة، الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني "دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية، مجلة الأثر، مج11، ع16، جامعة ورقلة، لجزائر، 2012/12/31، ص89.

[30] ينظر، المرجع نفسه، ص 89.

[31] ينظر، المرجع نفسه، ص 89.

[32] تون أ. فـان دايـك، علـم الـنص مـدخل متـداخل التخصصـات، تـر: سـعيد حسـين بحـري، ط01، دار القاهرة للكتاب، مصـر: 2001، ص 67.

[33] ينظر، قدور عمـران، البعـد التداولي والحجـاجي في الخطاب القـرآني، دط، عـالم الكتب الحديث، الأردن: 2012: ص47

[34] ينظر، علي آيت أوثان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط01، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب: 2000. ص67

[35] ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر: 2000، ص43.

[36] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998: ص82.

[37] شعبان يوسف، أدب السجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2014: ص99.